على هامش العلاقات السوفياتية ـ الفلسطينية
المقاومة .. على الطريق الصعب

اسحق الخطيب

اذا كان البيان الذي صدر في أعقاب زيارة الوفد الفلسطيني للاتحاد السوفياتي ، جاء ليسجل مرحلة جديدة للعلاقات بين الثورتين الفلسطينية والاشتراكية ، فالحقيقة ان البيان على ما فيه من صدق الوعد بالدعم والتأييد ، لا يعكس بالدقة جوهر المرحلة الجديدة وعمق العلاقة بين الثورتين . فلقد تطورت هذه العلاقة في الفترة الاخيرة الى حد أصبح معه « **التحالف** » الصيغة الاكثر دقة في وصف المستوى الرفيع الذي بلغته العلاقة الكفاحية بين الثورة الفلسطينية وبلد ثورة اكتوبر .

وأود في مستهل مقالي ان استدرك ، بأن اقتصاري الحديث عن بيان موسكو لا يعني التقليل من اهمية بياني وارسو وبرلين او زيارة هاتين العاصمتين الصديقتين ، فالحقيقة ان حديثي ينصب على **جوهر العلاقة** مع الثورة الاشتراكية أكثر منه تقييما للزيارة أو البيان . وأي حديث في اعتقادي عن ثورة اكتوبر باعتبارها الثورة الام ، ينسحب بكامل المقاييس على كافة الثورات الاشتراكية وبلدانها .

أين نبتت جذور هذه العلاقة ؟

عندما نشبت الثورة الفلسطينية قبل اقل من عشرة أعوام ، كانت الساحة العربية مزدانة بأعلام النصر رفعتها حركة التحرر العربي عبر مسيرتها الطويلة ، ولم يكن غائبا عن الذهن ، ان ما ساهم الى حد كبير في هذه الانتصارات كان الارتباط النضالي الذي ارتبطت به حركة التحرر العربية بالثورة الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي .

هذه الارضية التي استندت اليها الثورة الفلسطينية ، كان لها الفضل الاول في تسريع عملية التطور اللاحق التي شهدتها الساحة الفلسطينية ، وفي تجاوز الاطر والمفاهيم التي كانت تحكم ثورات الشعب الفلسطيني المتتالية منذ الثلث الاول لهذا القرن .

كانت ثورات شعبنا محكومة آنذاك بظروف تلك الفترة القاسية التي تميزت بالهيمنة الاستعمارية المطلقة على المنطقة ، وبغياب الصلة بالاتحاد السوفياتي المطوق بحصار اقتصادي وسياسي وعسكري فرضته عليه الامبريالية العالمية ، وبالقيادة الاقطاعية التي تربعت على قمة الثورات الفلسطينية مذ كان للشعب الفلسطيني ثورة . وقد بلغ العمى السياسي لتلك القيادة أن وجدت في المانيا النازية في فترة من الفترات ، فرصتها الوحيدة في الخلاص ، اعتمادا على المعادلة الخاطئة التي تعتبر عدو العدو صديقا بالضرورة ، وبلغ بها الالتزام الطبقي الى حد ان وقفت تعلن بافتخار ، رفضها تلبية دعوة المندوب السوفياتي الذي كان يلح في اجراء اللقاء مع مندوبها اثناء بحث القضية الفلسطينية في هيئة الامم عام ١٩٤٧ .

لكن تلك كانت فترة وانقضت ، وفشل الثورات السابقة لم يكن مرده كله الى نوعية